قصائد من الكويت

سعاد الصباح

بنت السماء

غمامةٌ مرّت عليّ منذ عامٍ أو يزيد

ما زلتُ أذْكر اسمَها وإنْ تناساهُ الأفق

كان اسمُها «بنتَ السماء».. ولونُها الورديُّ لا يزال عالقاً بالذاكره

وتشهَدُ السماءُ أنَّني لم أرفع البصر

لأنَّني منذ شتائَيْن مضى كلاهما بلا مطر... حاولتُ نسيانَ الفصول الأربعه

وكلَّ ألوان الزمان الدائره.

وكنتُ وحدي أَحْرث الوقتَ بأمشاط القَدَمْ

وأَبْذر الفراغَ في الزمان المزدحم

وكنتُ مَخْفِياً عن الأشباه.. والأضداد.. لا شيء يَهمْ

وَتَشْهَدُ السماءُ أَنَّني لم أرفع البصر.. ولم أرَ الغمامه

لكنّ ظلَّها الشفيفَ من بعيد.. غطّى ترابَ الصدر باللَّون الوديع

وجاء نحوي مثلما تسعى القطا...

.... فَرَفَّ جانحُ التوقع السعيد

وثقبتْ صدري إلى عروشها الظنونْ

ماذا... تُرى... يكون؟

ولفّني نسيمُها في ناعمِ النداء

يا أيُّها المأخوذ والمنبوذ في ترابه... إرفعْ إليَّ ناظريْك

إنَّني بنتُ السماء... يا صامتَ العينَيْن، قُلْ.. ماذا تريد؟

ماءً نميراً... أم نبيذْ... أم ساقطاً من البَرَدْ... ماذا تريدْ..؟

فلذتُ بالصمت اللذيذ حين قال: من رَحِمِ السؤال يولد الجواب... يَعُقُّ
أو يبـرُّ... أو يكون بين بين.. والريح ههنا عقـيم... لا تنجبُ الغبـار.
وفرّ بي صمتي إلى البعيد... فَرُحتُ أرنو للثرى
وما تجرأتُ على رفع البصر... فلم أرَ الغمامة
وتشـهَـدُ السـمـاءُ أنَّني لم أرفع البـصـرا
لكنَّ ظلُّهـا المسكوبَ رَشَّ قـامـتي.. وعـرّشت.. وأرسلت أنامل المطر
تضم في راحـتـهـا قـوسَ قـزح... أروعَ سـيفٍ ينتـضي قـوسُ قـزح
فشقّت الرأسَ به
وصيرتْ جمجمتي مثل القدح
مفتوحةَ الأعلى لعُلويٍّ الصبيب... وفجأةً،
وقبل أن تملأني الغمامه،
باغتتِ الفتحةَ في رأسي طيورٌ عابره
واندسّ سربُها المفاجئُ المريب
في رأسي المفـتـوحـة الأعلى لعلويّ الصـبـيب
فانْسَدَّ ما انفتح
وأصـبـح الـرأسُ بـهـم... سـجـناً لـهـم...
وارتاعتِ الغمامةُ الوسمية العيون.. وغادرتني مسرعة..
تاركة مساحباً ندية الأثر...
رأيتـهـا حين اخـتـفت عن الـنظر...
....
ومـا وعـيتُ منذ عـام أو يزيد مـا تلك الطيـور
فـي رأسـي المسـحـوق فـي الزُّحـام
هـل كـان سـرباً لـلـنسـور...
... أو كـان سـرباً لـلحـمـام
أو سـود غـربـان تـدور؟ □.